

## الباب التاسع والستون

وهو باب جامع فيه فصول منشورة لم تذكر فيما تقدم  
من الأبواب

### فصل

#### في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن هاشم، حدثنا صفوان بن صالح، حدثني داود بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رباب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على حُسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جردُ مردٍ مكحلون»<sup>(١)</sup>.

وروى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لسانُ أهل الجنة عربي، وقال عقيل: قال الزهري: لسانُ أهل الجنة عربي<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه بمعناه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي (٢٥٤٥) ولفظه: «يدخل أهل الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين». من حديث معاذ.

وأخرجه ابن عساکر: «تدخلون الجنة جرداً مرداً مكحلين ذوي أفانين أبناء ثلاث وثلاثين على صورة يوسف، وقلب أيوب» من حديث أنس. ذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٨٠)، وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ العرب ثلاث: لأنبيء عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي». كما في «الدر المنثور» ٣/٤.

(٢) أورده ابن كثير في «النهاية» ٥٤٨/٢.

## فصل

### في احتجاج الجنة والنار

في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «احتجتِ النارُ والجنةُ فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عزَّ وجلَّ لهذه: أنتِ عذابي أعدبُ بك من أشياء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشياء، ولكلُّ واحدةٍ منكما ملؤها»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى: «تحتاجتِ النارُ والجنةُ، فقالت النارُ: أوشرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنةُ: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناسِ وسقطهم وعجزهم، فقال الله سبحانه للجنة: أنتِ رحمتي أرحمُ بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: أنتِ عذابي أعدبُ بك من أشياء من عبادي، ولكلُّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأما النارُ فلا تمتلئ حتى يضعَ قدمه عليها فتقول قَطُّ قَطُّ فهناك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنةُ فإن الله عزَّ وجلَّ ينشيءُ لها خلقاً»<sup>(٢)</sup>.

## فصل

### في أن الجنة يبقى فيها فضل فينشيء الله لها خلقاً دون النار

في «الصحيحين» عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «لا تَزَالُ جهنمُ يلقى فيها وتقول ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ حتى يضع ربُّ العِزَّةِ فيها قدمه

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد: باب (٢٥) ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين﴾، ومسلم (٢٨٤٦) في صفة الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد ٣١٤/٢، ونحوه عند البخاري (٧٤٤٩) المتقدم، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٣٧٨١) في النعوت، نحوه.

فيتزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطِ قَطِ بعزتك وكرَمِك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً [مما شاء] فيسكنهم فضل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وأما اللفظ الذي وقع في «صحيح» البخاري في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقى فيها فتقول ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾»<sup>(٣)</sup> [ق: ٣٠]. فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، وأنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته، وكذب رُسُلَهُ قال تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ لَقِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمُ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك] ٨ - ٩ ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

## فصل

### في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه، من حديث سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٨) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، والبخاري (٦٦٦١) في الأيمان والنذور: باب (١٢) الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٨) (٣٩) في الجنة: باب (١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) في التوحيد وهو كما قال ابن القيم: غلط لمخالفته حديث أنس المتقدم (٧٣٨٤) وحديثه الذي يليه (٧٤٥٠) ويدعى هذا النوع في مصطلح الحديث: المنقلب، ونقل الحافظ في «الفتح» ٤٣٦/١٣ قول أبي الحسن القاسبي: المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقاً، وأما النار فيضع فيها قدمه قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقاً إلا هذا انتهى.

(٤) أخرجه الدلمي مطولاً (٦٩٠٧) في «الفردوس»، والبيزار (٣٥١٧) مختصراً وقال: لا نعلم أسنده من هذا الطريق لإسفيان، ولا عنه إلا الفريابي، وذكره في «كنز العمال» (٣٩٣٢١) =

وذكر الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: سئل نبي الله ﷺ فقيل أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»<sup>(١)</sup>.

## فصل

### في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد، حدثنا يزيد، أنبأنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول [باستغفار] ولدك لك»<sup>(٢)</sup>.

## فصل

### في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا بعمله

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] وروى قيس، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال:

بلفظ: «النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة». ونسبه للبيهقي في «الشعب»، وقال الهيثمي في «المجمع» ٤١٥/١٠: ورجال البزار رجال الصحيح.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ٤١٥/١٠، وأحمد في «الزهد» ص ١٥، وفيه «لا يموتون»، وأبو نعيم في «الحلية» ٩٠/٧، وقال: غريب من حديث الثوري تفرد به عبدالله، وفي «صفة الجنة» (٩٠) وقال: رواه الثوري وجماعة عن ابن المنكدر. وفي الأصل: الطبري بدل الطبراني.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٥٠٩/٢، وذكره الهيثمي ٢١٠/١٠ وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط» ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهذلة وقد وثق، والبيهقي ٧٩/٧ في «السنن الكبرى» وفيه: «بدعاء ولدك لك».

قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لِيرْفَعُ ذُرِّيَةَ الْمُؤْمِنِ إِلَيْهِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لَتَقَرَّبَهُمْ عَيْنُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: ما نقصنا الآباءَ مِمَّا أُعْطِينَا الْبَنِينَ»<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن مردويه في «تفسيره» من حديث شريك، عن سالم الأفيطس، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال شريك: أظنه حكاه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبِيهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَيُقَالُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا دَرَجَتَكَ أَوْ عَمَلَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ عَمَلْتُ لِي وَلَهُمْ فَيُؤَمَّرُ بِإِلْحَاقِهِمْ بِهِ ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ<sup>(٢)</sup>. وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبني على أن قوله بإيمان: حال من الذرية التابعين، أو المؤمنين المتبوعين.

فقال طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم، فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به، ألحقناهم بهم في الدرجات، قالوا: ويدل على هذا قراءة من قرأ ﴿وَأَتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ فجعل الفعل في الإتيان لهم، قالوا وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. وقال: ﴿ذُرِّيَّةً مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]. وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفْتَهُلِكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] وهذا قول الكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس يرفعه: «إِنَّ اللَّهَ لِيرْفَعُ ذُرِّيَةَ الْمُؤْمِنِ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ لَتَقَرَّبَهُمْ عَيْنُهُ»<sup>(٣)</sup> فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال

(١) أخرجه الحاكم ٤٦٨/٢، وابن جرير في «التفسير» ٢٧/٢٤، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٤/٧ ونسبه للبخاري وقال: وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٦٤٠)، و«الكبير» (١٢٢٤٨)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٤/٧، وقال: وفيه عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف، وفي الأصل: بالإلحاق بهم والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ١١٩/٦، ونسبه إلى البخاري وابن مردويه.

يبلغون بها درجةً أبائهم فبلغنهم إيَّاهَا، وإن تقاصر عملُهم عنها. قالوا: وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية، وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا، فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه، وتكميلاً لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعاً، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهنَّ.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ها هنا الصغار، والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء، والذرية تتبع الآباء - وإن كانوا صغاراً - في الإيمان وأحكامه، من الميراث والذية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين، ويكون قوله ﴿بِإِيمَانٍ﴾ على هذا في موضع نصبٍ على الحال من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: ويدل على صحة هذا القول: أن التابعين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ويكون أولاد التابعين [البالغون] كلهم في درجة آبائهم، وهلمَّ جرّاً إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً، بل إيمان استقلال. قالوا: ويدلُّ عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حقَّ المستقلين، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهلهم، وإن لم تكن لهم أعمالهم كما تقدم. وأيضاً فالحور العين والخدم في درجة أهاليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم.

وقالت فرقة منهم الواحدي: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار

والكبار، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب. قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١] أي آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي، وعلى الاختياري الكسبي، فمن وقوعه على التبعي قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. فلو أعتق صغيراً جاز. قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبيرة: عن ابن عباس: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عيونهم». ثم قرأ هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، وتكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقر بهم عينه، وإن لم يبلغوا ذلك. وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا. وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً، قال: وبدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالأيتين فمن قرأ: ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فهذا من حق البالغين الذين يصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ومن قرأ: ﴿وَاتَّبَعْنَاَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله آباءهم في الإيمان حكماً فدلَّت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية هنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته. والله أعلم.

(١) تقدم مرفوعاً ص ٤٨٠ ت (١).

## فصل

### في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ: «احتجبت الجنة والنار»<sup>(١)</sup>، وقوله: «قالت الجنة يا رب قد اطردت أنهارى، وطابت ثمارى فعجل علي بأهلي»<sup>(٢)</sup> وقال إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد الطائى: أخبرت أن الله [تعالى] لما خلق الجنة قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: تكلمي، فتكلمت، فقالت: طوبى لمن رضىب عنه<sup>(٣)</sup>. وقال قتادة: لما خلق الله الجنة قال لها: تكلمي، فقالت: طوبى للمتقين.

وقال الطبرانى: حدثنا أحمد بن علي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»<sup>(٤)</sup>.

## فصل

### في أن الجنة تزاد حسناً على الدوام

قال عبدالله بن أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد بن عبدالله، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالله بن الحارث، عن كعب قال: ما نظرت الله إلى الجنة إلا قال: طيبى لأهلك، فتزداد طيباً حتى يدخلها أهلها<sup>(٥)</sup>.

(١) تقدم ص ٤٧٧ نحوه ت (١) و (٢).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٨٥)، وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٩)، والخطيب في «التاريخ» ١١/٢١٣ - ٢١٤ نحوه من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

(٤) أخرجه الطبرانى في «الكبير» (١١٤٣٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١).

## فصل

### في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك . وقول الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا»<sup>(١)</sup> . وحديث عكرمة، عن النبي ﷺ في قول الحوراء: «اللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك»<sup>(٢)</sup> .

وذكر ابن أبي الدنيا، عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة، فكان إذا نزلوا فهو يصلي، وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً، فلما أراد أن يفارقه، قال له: يا أخي أخبرني ما الذي هيّجك إلى ما رأيت؟ قال: رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة، وإذا لبنة من فضة ولبنة ذهب، فلما تمّ البناء إذا شرفة من زبرجد، وشرفة من ياقوت، وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها، عليها ثوب من فضة يتثنى معها كلما تثنت، فقالت: جُدْ إلى الله في طلبي، فقد والله جددت إليه في طلبها، فهذا الذي تراه في طلبها.

قال أبو سليمان: هذا في طلب حوراء، فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها؟

## فصل

### في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال [الله] تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وعن أبي سعيد الخدري [رضي الله عنه] قال:

(١) أخرجه أحمد ٢٤٢/٥، والترمذي (١١٧٤) في الرضاع: باب (١٩) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٠١٤) في النكاح: باب (٦٢) في المرأة تؤذي زوجها.  
(٢) تقدم ص ٣٠٤ ت (٥) مطولاً.

قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت. قال: ثم يقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم. هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلوداً فلا موت، ويا أهل النار خلوداً فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> متفق عليه.

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث ابن عمر [رضي الله عنهما] أن رسول الله ﷺ قال: «يُدخلُ اللهُ أهلَ الجنةِ الجنةَ، ويدخلُ أهلَ النارِ النارَ، ثم يقومُ مؤذناً بينهم، فيقولُ: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ كلَّ خالدٍ فيما هو فيه»<sup>(٢)</sup>.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هو الموت، الذي

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) في التفسير: باب (١)، وأنذرهم يوم الحسرة، ومسلم (٢٨٤٩) في صفة الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

يشربون: يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٤) في الرقاق: باب (٥٠) يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم (٢٨٥٠) في الجنة: باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤٨) في الرقاق، باب (٥٠)، ومسلم (٤٣) في الجنة: باب (١٣).

وَكَلَّ بِنَا، فَيُضَجُّ فَيَذْبَحُ ذَبْحاً عَلَى السُّورِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ لَا مَوْتَ»<sup>(١)</sup> رواه النسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح ومعاناة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً: وقال: الموت عرض، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصحُ فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبشٍ يذبحُ، كما ينشئ من الأعمال صوراً معاناة يثاب بها، ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها، وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً. فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للربِّ تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين، ولا شيئاً من المحالِّ، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجهه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظنَّ هذا القائل أن لفظ الحديث: يدلُّ على أن نفس العرض يذبح. وظنَّ غالط آخر أن العرض يعدم ويزول، ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ: «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان»<sup>(٢)</sup> الحديث. فهذه هي القراءة يشئها الله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «أن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش، لهنَّ دَوِيٌّ كدويِّ النحلِ يذكرن بصاحبهن»<sup>(٣)</sup> ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول

(١) أخرجه أحمد ٣٦٩/٢ و٣٧٧ و٥١٣، والترمذي (٢٥٥٧) مطولاً في الجنة: باب (٢٠) ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) في صلاة المسافرين: باب (٤٢) فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.

(٣) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٢٦٨/٤.

من أنت؟ فيقول أنا عمك الصالح، وأنا عمك السيء»<sup>(١)</sup> وهذا حقيقة لا خيال، ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة، وصورة قبيحة، وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم، أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً، يسعى بين أيديهم، فهذا أمر معقول لو لم يرِدْ به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال سعيد، عن قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فوالله إني لأراك أمراً الصديق، فيقول له: أنا عمك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: ما أنت، فوالله إني لأراك أمراً السوء. فيقول له: أنا عمك، فينطلق به حتى يدخله النار»<sup>(٢)</sup>.

وقال مجاهد: مثل ذلك.

وقال ابن جريج: يُمثل له عمله في صورة حسنة، وريح طيبة، فيعارض صاحبه ويشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة، فذلك قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩] والكافر يُمثل له عمله في صورة سيئة وريح متنتة، فيلازم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه في النار.

وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصفافات: ٥٩] قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه، فقالوا ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قيل: لا، قالوا: إن هذا لهو الفوز العظيم. وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت، فطاب لهم العيش، وأمنا من الأسقام، فهناهم في جوار الله طول المقام، ثم بيكي حتى تجري دموعه على لحيته.

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٨٧ في حديث طويل.

(٢) ذكره في «كنز العمال» (٣٨٩٦٣) وقال: أخرجه ابن جريج - عن قتادة مرسلأ.

## فصل

### في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فهي دائمة

روى مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله [رضي الله عنهما] أن النبي ﷺ قال: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَيَكُونُ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءً وَرَشْحاً كَرَشْحِ الْمَسْكِ، يَلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق: أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس، كما تلهمون أنتم النفس<sup>(٢)</sup>.

## فصل

### في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصفات: ٥٠ - ٥١] الآيات. وقد تقدم الكلام عليها. وقال [تعالى] ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّقِينَ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ. إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس يرفعه: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَشْتَأِقُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَسِيرُ سَرِيرٌ هَذَا إِلَى سَرِيرٍ هَذَا، وَسَرِيرٌ هَذَا إِلَى سَرِيرٍ هَذَا، حَتَّى يَجْتَمِعَا جَمِيعاً فَيَتَكِيءُ هَذَا، وَيَتَكِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعَلَّمْتُ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ لَنَا؟ فَيَقُولُ صَاحِبُهُ: نَعَمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، فَدَعَوْنَا اللَّهَ فَغَفَرَ لَنَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (١٨) و(١٩) في الجنة: باب (٧) في صفة الجنة وأهلها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٥) (٢٠) في الجنة: باب (٧).

(٣) أخرجه البزار في «كشف الأستار» (٣٥٥٣) باب زيارة الإخوان في الجنة، وذكره الهشمي في

«مجمع الزوائد»: ٤٢١/١٠، وقال رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار، والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان، وقد وثقا.

وإذا تذكروا ما كان بينهم، فتذاكرهم فيما كان يُشكّلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآن والسنة، وصحة الأحاديث أولى وأحرى، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألدّ من الطعام والشراب والجماع، فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذّةً، وهذه لذّةٌ يختص بها أهل العلم، ويتميزون بها على من عداهم. والله المستعان.